واحرقناها اخذاً ببعض الثار منهم لما لقينا من غدرهم وخيانتهم وما زلنا نواصل السير بالسرى حتى بلغنا رمبك اول محطة لنا وسعي ١٧ رجلاً وفي البقية الباقية من الاربعة والخمسين

البنات والعلوم العالية

كتب احد الاطباء الاميركيين مقالة تحت هذا العنوان اخترنا تلخيصها لا لأن تعليم البنات العلوم العالية لهُ شأن عظيم عندنا الآن فينطبق كلُّ ما جاء في هذه المقالة على بناتنا بل لانهُ اذا سار تعليم البنات في الشرق سيراً طبيعياً وارتقى ارتقاءهُ في الغرب فلا بدَّ ان ننتهي الى مثل هذه العقدة ونتساءل فيما بيننا مثلما يتساءل الغربيون من جهة تعليم البنات العلوم العالية وحينئذٍ تكون هذه المقالة وما ينسج على منوالها مرشداً لنا في حلِّ ما ابهم علينا من المعضلات وما التبس من المشكلات قال الكاتب

بلغ التعليم في قارة اميركا وخصوصاً الولايات المتحدة مبلغاً من الكمال ما بعدهُ غاية . ويظهر لاول وهلة ان هذه الحالة لما نغتبط عليهِ . والناظرون الى الامور نظراً سطحياً يتمنون لو نطَّرد السير على هذه الخطة ونرقى الى ما هو اعلى في امر تعليم البنات قائلين زيادة في الخير خير وان ابلاغ البنات اسمى مراقي التعليم ليس كثيراً عليهنَّ ولا هو فوق طوقهنَّ . ولكن الذين لا يقتصر نظرهم على الحاضر بل يمتدُّ الى المستقبل ايضاً يرون بعين بصيرتهم خطراً ينشأ رويداً ويزيد حتى يفضي الى ثورة اخذت طلائعها تبدو في كلِّ جهة . وسأقصر كلامي على البحث في الضرر الناشيء عن تعليم البنات العلوم العالية

يعلم كثيرون من الراسخين في العلم ان بين انواع الخلائق الحية تنازعاً على بقاء الفرد وخصوصاً بقاء نسلهِ وهذا اهمُّ من بقاء الفرد نفسهِ لانهُ اذا زال الفرد من الوجود زال بزوالهِ شخص واحد فقط ولكن اذا زال نسلهُ زال بزوالهِ الوف لا تحصى من الاحياء التي منعت من الظهور . وتدل الادلة على ان تعليم المرأة العلوم العليا يأول الى انقراض النوع الانساني اما مباشرة وذلك بما يؤثرهُ في بنيتها واما بواسطة وذلك بأن يجعل الزواج الباكر متعذراً على الرجال عموماً

واول سؤال اسألهُ هنا هل العلوم العالية التي تعلَّمها المرأة الآن مما يضر ببنيتها وصحتها . وهو سؤال لا تخفى اهميتهُ على احد لان واجبات الام لا تستلزم عقلاً ثاقباً بل بنية قوية .

وليس ذلك فقط بل ان زيادة العناية بترقية قوى المرأة العقلية تحول دون قيامها بواجباتها مثلما يطلب منها

سل اي طبيب اردت يخبرك بحوادث كثيرة جاء الزواج فيها صفقة خاسرة لأن شدة الاهتمام بتثقيف عقول البنات قبل زواجهن افضت الى ان صرن يأنفن ترفعاً وكبراً من عمل الاعمال التي تعملها الزوجات غير المتعلمات بسرور ورغبة . ثم ان واجبات الأم من جهة والاشغال العقلية من الجهة الاخرى اعداء لا تصطلح لأن كلا الفريقين يتطلب لاتمامه كثيراً من المركبات الفصفورية . وهذه يستخرجها الجسم من الطعام ولكنها قلما تكفي لتغذية زوجة تطالع العلوم العالية ولتغذية جنينها . فان الجنين يستمد من دم امه الاملاح الكيماوية اللازمة لتكوين هيكله ولبعض الانسجة الاخرى . وكثيراً ما يفضي هذا النزاع بين الجنين وقوى امه العقلية الى خسارة الفريق الثاني اي ان قوى الام العقلية تضعف وتخذل الى حد الجنون احياناً . وكثيراً ما تستعيد قواها بعد تناول المواد الفصفورية زماناً طويلاً لتستعيض ما خسرته على نمو جنينها . وقد يتفق بعض الاحيان ان يكون الجنين الفريق الخاسر فيولد سقيماً او كسيحاً ولما كان لبن امه قليل التغذية يعطى بدلاً منه اطعمة صناعية وبئس البديل هي مهما حسن نوعها

والظاهر ان المرأة التي تعلم العلوم العالية تشعر انها لا تصلح ان تكون اماً بدليل انها قلما تتزوج واذا تزوجت فانما تتزوج متأخرة ويجيء نسلها قليلاً . وكثيراً ما تسمع الناس يقولون انه خير للزوجين ان يلدا ولداً واحداً ويبالغا في العناية بتربيته من ان يكون لهما ستة اولاد يربون تربية اعتيادية اذ في الحالة الثانية يتوزع اهتمام الابوين على ستة اولاد بدلاً من ان ينحصر في واحد . وهذا القول باطل . فما من احد الاَّ ويعلم ان الولد الوحيد الذي يولد لابوين تربيا تربية سامية هو في الغالب نليفة ليس فيه رجية وصحته سقيمة . واما الستة الاولاد الذين تلدهم ام تعلمت بعض التعلم فنشيطون اقوياء ولو فرض ان المرأة السامية التربية تستطيع ولادة الاولاد وتربيتهم مثل غيرها ولا تأنف من ذلك فان ثمة مانعاً يمنع ان يكون لها عائلة كبيرة وهو تزوجها متأخرة اي بين سن السادسة والعشرين والثلاثين . هذا ولما كانت البنت التي في ذلك السن تتزوج عادة رجلاً يكبرها بعشر سنوات الى خمس عشرة سنة — لان بنت السابعة والعشرين مثل ابن الاربعين بالنظر الى الزواج — فان كليهما في عمر لا ينتظر بعده ان يكون لهما عائلة كبيرة . ويؤخذ من سجلات الطلاق في المحاكم انه لاشقاق

بين الزوجين اذا كانت الزوجة تتمّ وظائف الامومة بل ان الشقاق يبدأ حين تأخذ في اهمال تلك الوظائف

وهناك سؤال آخر اسأله وهو هل صحة المرأة في هذه الايام اضعف مما كانت عليه في ايام اجدادنا وواجبات الامومة والزوجية اصعب مما كانت منذ مئة سنة . والجواب نعم . فان غريزة الميل الجنسي وغريزة الميل الى ولادة الاولاد تضعفان سنة فسنة في المرأة اجمالاً . واكبر دليل على ذلك تأخر النساء عن الزواج وقلة ولادتهنّ للاولاد . ثم ان اكثر النساء في الطبقتين العليا والوسطى يصبن بالعلل والاسقام قبل الزواج ووظائفهنّ الفسيولوجية لا تسير سيرًا طبيعيًّا . فقد عقدت حديثًا جمعية من كبار الاطباء المختصين بعلم الولادة وعلم امراض النساء في اميركا فقال اعظمهم خبرة بصناعته ان اكثر اللواتي عالجهنّ لا يستطعن عملَ عملٍ طبيعي لان قوة شعورهنّ بالالم شديدة وقوتهنّ العضلية ضعيفة . فوافقهُ سائر الاطباء على هذا القول ولكنهم اختلفوا على السبب . فقال بعض مشاهيرهم ان السبب في ذلك انغماس البنات في الملاهي مدة العشر السنوات التي تمرّ عليهنّ منذ خروجهنّ من المدرسة الى زواجهنّ . وهذا يتضمن احياء الليالي في السهر وعدم النوم الكافي وسوء الطعام واللباس وقلة الرياضة . اما انا فأرى ان معظم السبب فيه الافراط في الدرس فانهُ اولاً يمنعهنّ من التعرّض لنور الشمس ومن استنشاق الهواء النقي في اكثر اوقاتهنّ . وثانيًا يحوّل دمهنّ من اعضائهنّ التي يجب ان تنمو وقت البلوغ الى الدماغ . وثالثًا يقوّي جهازهنّ العصبي باضعاف الاجهزة العضلية والهضمية الخ . ورابعًا يحملهنّ على مخالفة الطبيعة بالتزام العزوبة حتى يبلغن سنّ السادسة والعشرين او السابعة والعشرين بدلاً من ان يتزوجن في سنّ الثامنة عشرة وهو آخر حدّ عينتهُ الطبيعة للمزوبة فيهنّ . وخامسًا يزيد مطالبهنّ وحاجاتهنّ الى حدّ انهنّ يأبين الاقتران بشابّ صحيح الجسم قوي البنية اذا لم يكن من الموسرين

وللمسألة وجه آخر قلما يلتفت اليه للبحث فيه ولكن لهُ علاقة مهمة بها . فان ترقية قوى الفرد العقلية الى حدّها الاقصى تستلزم زيادة مطالبه والقناعة ركن السعادة . ولنسأل هنا هل تجعل التربية العالية المرء قنوعًا بالحاضر او ضموحًا يدأب العمر في الحصول على ما هو أعلى وامسى . وهل تقنع المرأة التي درست العلوم والفنون بمنزل بسيط او لا بدّ لها من اقتناء ما يختص بالعلوم والفنون من الكتب والتحف الثمينة وهل ترضى زوجًا لها رجلاً يستطيع ان يكفيها جميع حاجيات المعيشة ولا يستطيع ان يكفيها الكماليات التي تعدّها المرأة العادية عديمة الجدوى ولكنها تعدّها هي ضرورية لها . وهل تستطيع امرأة مثل هذه ان تعنى العناية الواجبة

بأولادها وتربيتهم وعندها ما يستفيد عنايتها واهتمامها

كنا نريد ان يكون سعيداً حسن السمعة ويريد ان يكون اولادهُ وخصوصاً الصبيان منهم كذلك . ولكن الذين يعلمون ولو بعض الشيء عن العفاف في الذكور يعلمون ايضاً ان تزوج الفتى الذي عمرهُ دون الخامسة والعشرين لفتاة دون الثامنة عشرة هو الطريقة الوحيدة لحفظ العفة في الجيل الناشيء . ولكن الناس يحدثونك غير مبالين بتزوج بناتهم وهنَّ في سنّ السادسة والعشرين او السابعة والعشرين بشبان عاشوا عيشة تُعبرأ العفة منها كأن ذلك الامر ليس بالشيء الذي يستحق الاهتمام . ولكن الذي يزرعهُ الانسان فاياهُ يحصد . فهل يدركون هول ما يجرهُ ذلك على صحة الفتيات المسكينات اللواتي يتزوجنهم

وقد كان من اعظم الاعتراضات على تعليم النساء العلوم العالية منعهُ لهنَّ من الرياضة الكافية . ولكنَّ هذا الاعتراض بات مردوداً هذه الايام بما ادخلتهُ الكليات والمدارس الداخلية من طرق الرياضة المختلفة . غير ان هناك اعتراضاً آخر عليها لا تستطيع ردَّهُ وهو تربية الانفة العقلية في صدورهنَّ وهذه الانفة تزيد نموًّا كما زادت المدرسة نجاحاً . فلا ريب ان النساء يستطعن فعل كل ما يستطيعهُ الرجال واكثر منهم . ولكنَّ معرفتهنَّ لذلك تزيد شعورهنَّ بالاستقلال وميلهنَّ الى الاعتداد بانفسهنَّ بحيث يستحيل ان يكون في صدورهن عاطفة حب واكرام وطاعة للشبان الذين يبدأون اعمال هذه الحياة وهم صغار في محل تجاري او معمل ليجمعوا من المال ما يكفون بهِ حاجات اللواتي يريدون الاقتران بهنَّ من المتعلمات . فيتعذر عليهم والحالة هذه ان يساووهنَّ في درجة علمهنَّ . ولكنَّ الفتاة التي تنال شهادة المدرسة العالية تأبى الاقتران بفتىً من اولئك الشبان كبراً واستنكاراً فتكون النتيجة اما ان ذلك الفتى يذهب ضياعاً مدى العمر ببقائهِ عزباً واما انهُ ينقذ من ذلك المصير بتزوجهِ فتاة دونهُ في الهيئة الاجتماعية ولكنها لما كانت اكثر رضى وقناعة تصبح اعظم عوناً لهُ من الفتاة السامية التربية التي همها التفتيش عن معايب الناس والتزوج برجل ربما كان اندر من الكبريت الاحمر

وقد يتفق احياناً ان البنت التي تتعلم العلوم العالية تخرج من المدرسة وجسمها صحيح واميالها الطبيعية سليمة ولكن هذا شاذٌّ لا يبنى عليهِ حكم فان البنت المتعلمة علوماً عالية تنفر من هموم الزوجية والامومة عادة فتقول انها لن تتزوج ما لم تجد زوجاً يستطيع الانفاق عليها لتعيش في نعمة وبسطة ويكفي مطالبها العقلية مثل حضور مراسح الغناء والتمثيل واقتناء الصور الثمينة والكتب النادرة ونتيجة ذلك فقد صحتها وراحة زوجها